

مكانة المرأة الإيرانية في شعر ملك الشعراء بهار من منظور النقد الثقافي

محمود رضا توكلي محمدی (الكاتب المسؤول)*

على خالقي**

على باقر طاهري نيا***

الملخص

إنَّ النقد الثقافي يتطرق بالمعاني التي يخبئها الأديب وراء النصوص الأدبية و يعدّ الوعي الاجتماعي جانباً أساسياً لهذا المنهج. إنَّ الأدب الفارسي في إيران بعد التحولات التي عُرِفَتْ بالثورة الدستورية الإيرانية التي حدثت بين عامي ١٩٠٥ و ١٩٠٧م والتي أدت إلى إقامة مجلس إيران، شاهد تطرّق الشعراء إلى كثير من الموضوعات الاجتماعية الجديدة التي لا نرى مثيلاً لها في العصور السابقة. إنَّ حبّ الوطن، مكافحة الاستبداد و الاستعمار، الدفاع عن الوطن أمام هجمة الغربيين، الدفاع عن الطبقات الكادحة كالعمال والفلاحين والدفاع عن المرأة والدعوة إلى تعليمها ومشاركتها في الاجتماع تعدّ من أهم هذه المضامين. مع أنَّ بعض شعراء هذه الحقبة من الأدب الإيراني - المتمثل في النصف الأول من القرن العشرين - قد تأثروا بالأفكار الماركسية والليبرالية والتيارات اليسارية وأتوا بما لا يلائم الإسلام وتعاليمه الإلهية، ولكن أكثرهم ما وقعوا في هذا الطريق أو أدركوا بطلان هذه التعاليم و تبراوا منها بعد أن دعوا إليها في بعض آثارهم. بما أنَّ قضية المرأة وما يلم بها من الموضوعات كالحجاب والسفور، والمشاركة في النشاطات الاجتماعية، والحرية، وحقّ التعليم. تعدّ من أهم القضايا التي تطرّق إليها بعض أهم شعراء هذه الحقبة الأدبية في إيران، يحاول هذا المقال بأن يدرس انعكاس صورة المرأة وقضاياها تحت ظل القضية التي تدعى النسوية، في شعر أكبر شعراء عصر المشروطة أو ثورة الدستور في إيران وآخر شاعر دعي بلقب ملك الشعراء من بين الشعراء الإيرانيين، ألا وهو ملك الشعراء بهار. فيعكف هذا المقال على أن يلقي الضوء على عقائد الشاعر في هذا الإطار وفيما يسمّى بنظرية النسوية أو المساواة بين الجنسين بصورة تحليلية - وصفية. إنَّ مكانة المرأة في المجتمع الإيراني، وحجاب المرأة الإيرانية، وسوء ظن الشاعر تجاه المرأة، والدعوة إلى تعليم المرأة وألح تعدّ من أهم الموضوعات التي تدرس في هذا المجال. الكلمات الدليلية: الشعر الفارسي الحديث، النقد الثقافي، المرأة، ملك الشعراء بهار.

أستاذ مساعد في قسم تعليم اللغة العربية وآدابها بجامعة فرهنكيان، طهران، إيران

Mr.tavakoli@cfu.ac.ir

***. أستاذ مساعد في قسم تعليم اللغة العربية وآدابها بجامعة فرهنكيان، طهران، إيران

***. أستاذ في قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة طهران، طهران، إيران

تاريخ القبول: ١٤٤٦/٠٩/١٢ق

تاريخ الاستلام: ١٤٤٦/٠٣/٢١ق

المقدمة

يشكّل النقد الثقافي ظاهرة بارزة رافقت فكر ما بعد الحداثة في ميدان الأدب والنقد، إذ ظهر في الغرب كردة فعل على النظريات الحقل البنيوية والسيمائية وفوضى التفكيك، وتبعاً لذلك فهو مجموعة من المقاربات المتعددة والاختصاصات التي ينصب عملها في الثقافي، وخدمة الأنساق المضمرة والأنظمة الأيديولوجية (حمداوى، ٢٠١٢: ٢)، ولذلك فهو نشاط واسع لحدوده وليس مجالاً مقيداً بحدود، ويعرفه الغدامى بأنه «فرع من فروع النقد النصوى العام، ومن ثم فهو أحد علوم اللغة وحقول (الألسنية)، معنى بنقد الأنساق المضمرة التي ينطوى عليها الخطاب الثقافى بكل تجلياته وأنماطه وصيغته.» (الغدامى، ٢٠٠٠: ٨٣) النقد الثقافى الذى يعد من أبرز تياراتها الفكرية المعاصرة، إذ نسعى فيه إلى الكشف عن الأنساق المضمرة والقابعة تحت أقنعة الجمالى الشعرى؛ إنّ المرأة تعدّ مظهرًا من مظاهر الجمال الإلهى، خلقها الله تعالى لكى تكوّن المجتمع الإنسانى جنباً إلى جنب الرجل، فلهما حق التعايش والحياة معاً ولا يقع أى فارض أو فاصل بينهما فى حياتهما الإنسانية. فعلى سبيل المثال طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة فى الإسلام ويجب رعاية حق الرجال فى المجتمع كما يجب رعاية حق النساء، فإذا أدركت المرأة شأنها فى الكيان الإنسانى واحترمت حقها وقامت بواجبتها، يحترمها الرجل ويقوم هو بواجبها حيالها كما هو الحال فى صدر الإسلام وفى المجتمع الذى يرشده النبىص نحو الصواب والهداية. ولكن هنا يطرح سؤال هام وهو: كيف نستطيع أن نحترم المرأة ونصونها من الآفات الإجتماعية التى نراها شائعة الآن فى البلدان الغربية؟ بعبارة أخرى ما هى كيفية حضور المرأة المسلمة فى المجتمع، بحيث استطاعت أن تشارك فى النشاطات الإجتماعية دون أن يحطّ هذه المشاركة من شأنها أو يمس بكرامتها كما نشاهدها فى المجتمع الغربى؟ المكاتب الغربية برمتها تجيب بهذا السؤال أو تحلّ هذه المشكلة بالصورة التى لا تلائم وتعاليم الشريعة. أصحاب هذه المذاهب المادية ينظرون إلى المرأة بنظرهم المادية ولا يحترمونها، بل يحسبونها - كما يحسبون الرجال - سلعة تُستفاد فى سبيل اكتساب ما يمكن من الأموال والثروات. فطبيعى أن ينظروا إلى المرأة كدمية جميلة يجب

استغلالها في هذا السبيل. فطبقاً لهذه النظرية المعروفة لنيوتن بأن لكل عملٍ عملٍ يساويه في الشدة ولكن في خلاف جهته، في هذا الإطار شكلت نظرية فكرية في المجتمع الغربي فيما يرتبط بحق النساء وكيفية عيشهنّ في المجتمع. هذه النظرية تسمى بالأنسوية أو المساواة بين الجنسين^١، يعرف قاموس أكسفورد للغه الإنجليزيه هذا المصطلح على أنّه «الدعوة إلى حقوق المرأة على أساس المساواة بين الجنسين» (Oxford English Dictionary، مادة Feminism) لهذه النظرية على الرغم من ظاهرها المطلوبة، آثار هدامة في البلدان الشرقية ومنها ايران، فأصحاب هذه النظرية خرجوا من فخّ وأوقعوا أنفسهم في فخّ آخر أعماق وأخطر، فبدل أن دافعوا عن حقوق المرأة، بدأوا نضالاً عنيفاً ضد الرجال في المجتمعات الغربية. فتسرّبت هذه الأفكار إلى البلدان الشرقية ومنها ايران، فبعد تطلع الشعراء الإيرانيين على هذه النظرية، دعا جماعة منهم في شعرهم على مسائل تعارض في طبيعتها مع الإسلام والرؤية الدينية إلى المرأة المسلمة. أما التعاليم الدينية فتعارض وأكثر منطلقات ودعايات هذه العقيدة. الإسلام يعطى حق الحياة للمرأة كما يعطيها الرجل، فيريد من الناس رجالاً ونساءً أن يظهروا في المجتمع مع العفاف والحياء وأن يغضوا من أبصارهم ولا ينظروا أو يتكلموا إلا بما هو أحسن. في عصر المشروطة أو ثورة الدستور في إيران نرى صراعا هاماً بين هذين التيارين المتباينين. فمن جهة نواجه جماعة تُسمى نفسها نيرة الفكر، تشكّلها عصابة إيرانية متأثرة بأفكار الغرب ومظاهرها ومناهجها دون أن تعمق فيها أو أن تدرك حقيقتها. هؤلاء المجاهلون يرون في الغرب مثلاً يجب الاقتداء به في جميع مظاهره ومنها وجوب سفور المرأة بين الرجال ومشاركتها في المجتمع بصورته التي يعتقدونها الغربيون؛ ولكن من جهة أخرى نرى المفكرين والمصلحين الحقيقيين وهم يعتقدون بمشاركة المرأة في المجتمع كما أمر بها الإسلام وكما بين لنا النبيص وأئمة الأطهارعليهم السلام كيفيتها وحيثيتها وإطارها. «إنّ عصر ثورة الدستور يعدّ نقطة عطف فيما يرتبط بالنساء في إيران. فكثير من العوامل الداخلية والخارجية أدّت إلى تغيير رؤية المجتمع الإيراني ونظرته إلى المرأة وما يرتبط بها.» (زرقاني، ١٣٨٧ش: ٦٤) أما الشعراء الإيرانيون في هذا العصر

أيضاً لم يبعدوا أنفسهم عن هذا الموضوع، «ففى هذا العصر (المشروطة) لا نكاد نجد شاعراً أو كاتباً إلا وقد تطرّق إلى قضية المرأة فى المجتمع الإيرانى. لاهوتى، وايرج، وعشقى، وبروين، وكمالى، وبهار، وشهريار وشعراء آخرون لديهم أشعار كثيرة وجميلة فى هذا الصدد... فإنهم حاربوا التعصبات والموهومات التى تنوء بكاهل النساء.» (آرين پور، ١٣٧٦ش: ١٠) فنستطيع أن نقول «إنّ قضية حقوق المرأة وتشابه حقوق الرجال والنساء فى المجتمع بدأت بالظهور ولأوّل مرة فى هذا العصر وبدأ المفكّرون بتنديد الثقافة الحاكمة على إيران، الثقافة التى لا تقيم للمرأة أى وزن فى المجتمع وهذا الأمر فتح آفاقاً جديدة على الأدب المعاصر الإيرانى.» (نورى علاء، ١٣٨٣ش: ١١٠) فعده من الشعراء فى هذا العصر بسبب تأثرهم بالتيارات الغربية أو عدم تعمّقهم فى التعاليم الإسلامية، دافعوا عن سفور المرأة فى أشعارهم وعدة أخرى أكدوا على حجاب المرأة وحفظه كما أمر به الإسلام. يعدّ ملك الشعراء بهار من الشعراء الذين ساروا فى سبيل حرية النساء، ولكنّه ضلّ الطريق فى كثير من عقائده فى هذا الصدد، فهو يدعو فى أشعاره إلى سفور المرأة ومع أنّه اعتقد بأنّ الحياء يجب على المرأة فى جميع أنحاء حياته، ولكن عدّ الحجاب من العوائق التى تمنع من رقى المجتمع الإيرانى. فى هذا المقال وبعد الإتيان بنبذه من حياة الشاعر ندرس رؤية بهار تجاه هذا الأمر وتحت ظل نظرية الأنوسية، مستشهدين ببعض أبياته الشعرية فى هذا الموضوع.

أسئلة البحث

أمّا الأسئلة التى تطرح فى هذا البحث هى:

١. ما هى إتجاهات فكرية لملك الشعراء بهار بالمرأة الإيرانية؟
٢. كيف ينظر الشاعر إلى القضايا النسوية؟ وهل يضيفنا المعلومات الجديدة عن زمن الثورة الدستورية؟

خلفية البحث

فقنا للأبحاث التى تم القيام بها، تم إنجاز العديد من الأعمال حول محدّدتى بهار وأعماله، لكنه لم يكن أى منها عن قصائده، فقد تمّت إشارات مختصرة وربما عامة فى

بعض الكتب والمجلات إلى موضوعات قريبة من هذا الموضوع وخاصة في مجال النقدى في الشعر العربى والفارسى المعاصر وأهمها المذكور أدناه:

١. ضياء الدينى دشتخاكي، على؛ حيدريان شهري، احمد رضا، (١٣٩٣ش) انتشرت مقالة فى موضوع «خوانش تطبيقى مفهوم آزادى در شعر محمود سامى البارودى و ملك الشعراء بهار» تمت كتابة هذا المقال بناءً على نظرية لوسيان غولدمان البنائية وبمنهج تحليلى مقارن. وبالإضافة إلى تحليل البنى النصية لقصيدتى هذين الشاعرين، مع الحركة العائمة بين الشعر والمجتمع، باعتبارهما بنيتين مرتبطتين، فإنه يوضح أسس خلق مفهوم الحرية فى تعبيرهما الشعرى فى جزئين.

٢. طايفى، شيرزاد؛ فاتح دولت آبادى، آرمان؛ (١٣٩٨ش) فى مقالة موضوعها «درآمدی بر اندیشه میهن گرایی ایران شهری در شعر ملك الشعراء بهار» حاول المؤلفان فى هذا البحث الوصول إلى قراءة تاريخية أساسية لشعر بهار فى فترات الحكم الثلاث محمد على شاهى وأحمد شاه ورضا شاه من خلال الاعتماد على الدراسات المكتبية والوثائقية واستخدام أسلوب تحليل المضمون والتأكيد على " النقد التاريخى الأساسى " للسيد جواد الطباطبائى.

٣. بصيرى، محمد صادق؛ نور محمدى، راضيه؛ (١٣٩٠ش) انتشروا مقالة تحت عنوان «استعمارستيزى در اشعار ملك الشعراء بهار و جميل صدقى الزهاوى» فى هذا المقال وبعد مناقشة مختصرة حول الأدب والوضع السياسى والاجتماعى فى إيران والعراق وحياة الشاعرين، سيتم دراسة مناهضة الاستعمار ومعارضة تدخل الأجانب فى نظر الشاعرين ومناسبة سيتم إعطاء القصائد كدليل.

٤. صباغى، على؛ حيدرى، حسن؛ (١٣٩٢ش) موضوع دراستهما «بررسى مقايسه اى آراء بهار و نيما يوشيج درباره ى شعر و شاعرى»، يبحث هذا المقال ويقارن بين آراء شاعرين من نفس الفترة، مالك الشعراء بهار باعتباره آخر ممثل بارز للشعر الكلاسيكى ونيما يوشيج باعتباره أول ممثل للشعر الحديث حول الشعر والشعر. ومن أهدافها إظهار الصراع على التقليد والحداثة فى

مجال الشعر والشعراء والذي نشأ حسب الجو العام للمجتمع.

وما يجدر بالذكر، لم يتم حتى الآن إجراء بحث شامل وكامل فى هذا المجال، ولم يتم بعد دراسة أبعاده وزواياه بعناية وتحليل من قبل الباحثين. فقد كان البحث جديداً كل الجدة ويختلف أسلوب الباحث فى تطرقه للموضوع اختلافاً عن الأعمال المذكورة.

الإطار النظرى للبحث

ثورة الدستور و المرأة

مرّت المرأة بصورة عامة بتاريخ مظلم أفقدها حرّيتها و مكانتها اللاتقة بها وجعلها سقط المتاع؛ تعيش الحرمان بكل معناه، فهى تباع و تشتري و تورث كما يورث المال بل و أحيانا يحكم عليها بالموت عند موت زوجها فبقيت المرأة تنوء بثقل ما حملت به إلى وقت قريب. يتكوّن المجتمع الإنسانى من الرجال و النساء معا، وكلّ مجتمع لا يعطى فيه حقوق النساء ولم يهتم بها بشكل يناسب شأنها، فهذا المجتمع يشبه بالانسان الذى أصبح نصف بدنه مفلوجا بحيث لا يتمكّن للمجتمع فى هذا الحال أن يصل إلى الرقى والحضارة. أدى التعرف على ثقافة الغرب من طريق إرسال البعثات العلمية وترجمة الآثار الأدبية الغربية إلى اللغة الفارسية فى عصر ثورة الدستور (المشروطة)، إلى تطوّر الأدب الفارسى ودخول كثير من المضامين الجديدة فيه. إنّ ثورة الدستور أيضا بدورها أضفت كثيراً من المضامين الجديدة إلى الأدب الفارسى، فنستطيع أن نلاحظ هذه التطورات فى شعر عصر (المشروطة) ونثره بصورة واضحة. فى الحقيقة واجه أدب (المشروطة) فى إيران تيارين أساسيين، هما: «تيار يتبع التعاليم الإسلامية وزعيمه علماء الدين ومراجع الشيعة وتيار يتبع إيدئولوجية ديموقراطية وأصحابه هم الذين يتبعون الغرب وثقافته، ويسمّون منوّرى الفكر.» (راجع: اسلامى ندوشن، ١٣٨٣ش، ٣: ٣٨١-٤٦٧) فىرى بعض من متخرّجى الجامعات الغربية ومنورى الفكر، الحجابَ عاملاً فى تخلف المرأة وبعدها من النشاطات الإجتماعية. ومن هذا المنطلق نرى انتشار صحف كثيرة فى ايران منها: «صور إسرافيل، جبل المتين، مساوات وايران نو.» (آدميت، ١٣٤٠ش: ١٥٧) فى هذه الصحف مقالات يدافع الكاتب فيها بزعمه عن حقوق المرأة. (شوندى، ١٣٨٩ش: ٨٠)

كما نعلم أنّ بداية كل قضية اجتماعية أو سياسية جديدة في كل مجتمع يكون مع كثير من المحاولات والأخطاء حتّى يستتبّ الأمر ويهدأ الأوضاع ويصل الشعب إلى ما يريده من الحرية والسعادة. لا يستثنى عصر ثورة الدستور أيضاً من هذه القاعده الأساسية، فبعد تعرّف الإيرانيين على حقوقهم الحقّة، حاولوا في سبيل استعادتها واستعانوا بكل وسيلة في هذا الطريق فكان من البديهي والطبيعي أن يصيب بعضُ منهم ويخطئ البعض الآخر. دخل الشعراء في هذا الحقبة من تاريخ الأدب الفارسي، المجتمع بأسلحة أشعارهم ووقفوا جنباً إلى جنب الشعب في نضالهم المقدس في سبيل الوصول إلى الحرية والاستقلال. تعتبر قضية المرأة الإيرانية وما تعاني منه المرأة في إيران، من أهم القضايا التي تطرق الشعراء إليها في شعرهم، ولكن بعض هذه الشعراء بسبب تأثرهم بالثقافة الغربية من جهة وعدم إدراك سبب تخلف المرأة في المجتمع الإيراني من جهة أخرى، ضلّوا الطريق؛ أضف إلى ذلك أنّه لم يكن لديهم أي خبرة في فهم العوائق التي انجّرت إلى هذا التخلف المرير. قد ظهر هذا الأمر بصورة واضحة في عقائد بعض شعراء هذا العصر فيما يرتبط بقضية حجاب المرأة أو سفورها ودعوتهم إلى سفور المرأة ووجوب مشاركتها في المجتمع بلا حجاب حدّد الشرع الإسلامي حدوده.

حجاب المرأة في الإسلام

وضع الإسلام بعض القوانين التشريعية عن حجاب المرأة ودعا إلى رعايتها من قبل المسلمات حفظاً وصيانة لكرامة المرأة في المجتمع الإنساني وليقطع أيدي هؤلاء الذين يريدون استغلال المرأة في المجتمع. فقال الله تبارك و تعالى في القرآن الكريم: «قُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلَا يَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنَى إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنَى أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوْ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولَى الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يَخْفَيْنَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ» (النور، ٣١) فعلى المرأة أن تحافظ على حياتها

وَأَلَّا تَبْدَى زِينَتَهَا إِلَّا لِمَحَارِمِهَا. ولكن النظريات الغربية الحديثة برمتها - ومنها الأنسوية - تخالف هذه العقيدة ويرى الحجاب عائقاً حال دون وصول المرأة إلى حريتها الحقيقية ومانعاً يردع المرأة من الوصول إلى حياة أفضل وأليق بها. هذا التعارض بين التعاليم الإسلامية والأفكار الغربية المتبلورة في نظرياتهم المختلفة فيما يرتبط بشأن المرأة في المجتمع - ومنها نظرية الأنسوية - لا ينحصر في الحجاب، بل يتعداها إلى ميادين أوسع وأرحب فيشتمل كل ما يتعلق بكيفية وحيثية حضور المرأة في المجتمع. فبعد تعرّف الشعراء الإيرانيين على هذه الأفكار والمعتقدات وقعوا في برزخ بين قبول هذه العقائد أو الإلتزام بالتعاليم الدينية وهذا الأمر أثرت في أشعارهم، هذا المقال يبحث عن هذا الموضوع في أشعار ملك الشعراء بهار.

ملك الشعراء بهار

ولد محمد تقى بهار سنة ١٣٠٤ الهجرية الشمسية في مدينة مشهد من محافظة خراسان في إيران. مات والده وهو ابن ثمانى عشرة وبسبب أنّ والده كان ملك شعراء الأعتاب المقدسة في مدينة مشهد، صار هو ملك شعرائها بعد وفات والده وورث هذا المنصب منه. فأعطاه مظفر الدين شاه القاجارى، ملك إيران، هذا اللقب. «(رزاقى، ١٣٨٦ش: ٥)» إنّ بعد أخذه بعض المناصب الرسمية وصفة ملك الشعراء، تطرّق إلى تعلّم اللغة العربية ومطالعة الكتب والمجلات المصرية، حيث أعطاه هذا الأمر رؤيةً جديدةً لما يجرى حوله من التحولات السياسية والاجتماعية. «(سپانلو، ١٣٨٢ش: ١١٦/٢)» حينما اندلعت نار ثورة الدستور المشروطة في إيران، انضمّ بهار إلى صفوف مؤيدى هذه الحركة ودعمها بأشعاره الحماسية، وبعد ذلك وفي العشرين من عمره انضمّ إلى جمعية "سعادت" السرية. (عابدى، ١٣٧٦ش: ٢٩) يمكننا أن نعدّ بهار رجلاً متعددة الشخصيات، دخل الساحة السياسية وهو ابن سبع عشرة أو ثمانى عشرة، فظهر في المجتمع كأديب وشاعر و سياسى وصحفى وأستاذ، ولكن أهمّ صفة فيه شاعريته، فهو يحبّ أن يتطرّق إلى كلّ ما هو جديد في زمنه. (اسلامى ندوشن، ١٣٨٣ش: ٣/٣٣٢) فهو في شعره كان مفكراً كلاسيكياً، بنى مدرسةً جديدةً على أصول الأدب الفارسى

القديم. فعمله هذا أبهر الأبصار وأثار إعجاب الناس، إذ استطاع أن يدخل المضامين الجديدة والحوادث المعاصرة في شعره وأدبه بعبارات ساذجة وتعبيرات شيقة ولكنها في فخامة الشعر القديم وصلابته. (مجلة يغما، السنة السادسة، ١٣٧٣ش، ٢/ ٨٥-٥٧) يقسم أشعار بهار إلى قسمين هامين: أشعاره الدينية التي أنشدها الشاعر من صميم قلبه ومن نبع عقائده المذهبية وأشعاره السياسية التي يصرخ فيها أمام الاستبداد والاستعمار ويدافع فيها عن الحرية والوطن والحق. (احمدى گيوى، ١٣٨٧ش: ١٦) كل من يقرأ أشعار الشاعر السياسية يرى بأمّ عينيه بأنّه يوج في شعره مضامين الحرية، وحب الوطن، وتحرير النساء من قيود القديم، ومكافحة الاستبداد، والاستعمار. في الحقيقة يعتبر المدح، المضمون الرئيسى في أشعاره التي أنشدها في شبابه - حينما كان ملك شعراء الأعتاب المقدسة الرضوية في مشهد - فمدح الشاعر أئمة المعصومين عليهم السلام وخاصة الإمام الرضا ع كما مدح النبيص و نرى في أشعاره مدح مظفر الدين شاه، الملك القاجارى الذى حكم إيران مدة طويلة، ولكنه بعد ثورة الدستور فى إيران انضم إلى صفوف الثوار وطالبى الحرية، فوقف شعره فى الدفاع عن الوطن والحرية وحارب مع سلاح شعره، الاستبداد والاستعمار والأجهزة القمعية فى إيران. فهو دعا فى أشعاره إلى «مكافحة كل ما يهدد حرية إيران والتصدى للطغاة فى الداخل أو الخارج واعتقل عدة مرات بسبب أفكاره الثورية وخاصة فى عهد رضا شاه البهلوى. تقلب بهار فى عدة مناصب، منها عضوية مجلس النواب والتدريس بالجامعة ووزارة التربية والتعليم، كما خلف عدة كتب أدبية. فى نهاية المطاف و بعد أن قضى كثيراً من حياته فى سبيل الدفاع عن الوطن، نفى إلى اصفهان ومات فيها بسبب داء السل سنة ١٣٧٠ القمرية المصادفة لشهر أردیبهشت سنة ١٣٣٠ الشمسية وله من العمر ست وستون سنة، فدفن فى مقبرة ظهير الدولة إلى جنب الشاعر الشهير ايرج ميرزا.» (ميرانصارى، ١٣٨٥ش: ٥٣)

الإطار التطبيقي للبحث

صورة الحجاب والسفور

كما مرّ بنا، فى عصر ثورة الدستور، مشى بعض الشعراء وراء أهداف الدول الاستعمارية فى إيران وحاولوا أن تصبح إيران برمتها كمدينة غربية، فهؤلاء الشعراء

إنما رأوا ظاهر الثقافة الغربية وما استطاعوا أن يدركوا سبب تقدم الغرب الرئيسى فى مجال العلم والثقافة الحديثة. ففىما يرتبط بتخلف المرأة الإيرانية، ظنوا أن حجاب المسلمة هو سبب تخلفها فى المجتمع وكذلك سبب تخلف المجتمع نفسه وهذا الأمر هو الذى تعتقده نظرية الأنسوية الغربية. إن بهار يعدّ من هذه الشعراء ولكن هنا يجب أن نذكر بأن هولاء الشعراء كانوا قسمين؛ القسم الأول يخطو وراء الغرب وسياسته الاستعمارية فى إيران متعمدا بحيث يعتبر هذا القسم من الشعراء، أيادى الأجانب فى إيران والقسم الثانى هم الذين ما أدركوا الحقيقة الكامنة وراء التفكرات الغربية، فبدأوا بنشر بعض هذه الأفكار لجهلهم. يُعدّ ملك الشعراء بهار من الطبقة الثانية وبهذا السبب نراه يدعو النساء فى أشعاره إلى حفظ الحياء والعفة فى المجتمع كما يدعوهُنَّ إلى السفور ونزع الحجاب من وجوههُنَّ. فهو فى إحدى مقطوعاته الشعرية يطلب منهن نزع حجابهن ويعد الحجاب بمنزلة جهل النساء:

زنانى كه به جهل در حجابند زآداب و هنر بهره نيابند

چنين زن به جهان ثمر ندارد

فروخوان كتاب را برافكن حجاب را

از اين بيشتر به گل مپوش آفتاب را

(بهار، ١٣٦٨ش، ٢: ١١٧٥)

إنّ المرأة التى تكون مقيدة بالحجاب لا تستطيع أن تتمتع بالعلم والآداب و الفن، فهى عديمة الفائدة فى العالم. فاقترئى كتابك هذا وانزعى حجابك. ولا تُغطّينى وجهك الجميلة كالوردة عن ضوء الشمس أكثر من هذا.

ويقول فى تصنيف آخر باسم المرأة ذات المواهب:

زن در زندان يا رب كه ديده

چه شد عزيزان كه حال نسوان بود بدينسان زار سياه كارى و جهل و خوارى بود مدامش كار

(المصدر نفسه، ٤: ١١٧)

من رأى حتى الآن المرأة فى السجن؟ أيها الأصدقاء، أية كارثة حصلت على النساء فصارت أحوالهن سيئة هكذا، فعملهنّ لا يكون إلا جهالة ودناءة.

فهو يعتبر الحجاب سجن المرأة الإيرانية، وهذا المصطلح أيضاً أخذها الشاعر من تعاليم وعقائد نظرية الأنسوية. يُرجع الشاعر في قصيدة "المرأة شعر الله" سبب تخلف إيران من ركب الحضارة إلى حجاب المرأة و يعدّ البرقع والعباءة عبئاً للمرأة ويعتقد أنّ المرأة بلا حجاب تكون أكثر حرية و نشاطاً في المجتمع:

نشود منقطع از كشور ما اين حركات تا كه زن بستره و پيچيده به چادر باشد
حفظ ناموس زمعجرتوان خواست «بهار» كه زن آزادتر اندر پس معجر باشد
(المصدر نفسه، ١: ٣٥٤)

لا تستطيع إيران أن تخلص نفسها من التخلف مادام المرأة تكون محصورة في العباءة والحجاب. بهار! لا يمكن للعباءة والحجاب أن يحفظ كرامة المرأة وحرمتها، لأنّ الحجاب يجعل المرأة أكثر حرية.

فالشاعر - مع نظراته الخاطئة أو التشاؤمية - يعتقد بأنّ المرأة المحجبة تستغل حجابها وتسعى وراء ما يناقض العفة والحياء بحيث يكون الحجاب ذريعتها في عملها هذا، ولكن لا يدعم عقيدته بأى مستند، والله لاندري من أين وكيف أتى الشاعر بهذه الرؤية الخاطئة. يقول بهار في قصيدة "صفة المرأة":

چادر و روی بند خوب نبود زن چنان مستمند خوب نبود
جهل اسباب عافيت نشود زن روبرسته تربيت نشود
كار زن برتر است از اين اسباب هست يكسان حجاب و رفع حجاب

(المصدر نفسه، ٢: ٧٧٣)

ليس للعباءة والبرقع أى فائدة - في حفظ حياء المرأة - ولا يجدر للنساء أن يكنّ رهينات السخافة. إنّ الجهل لا يسبّب الراحة والعافية كما أنّ المرأة المحجبة لا يمكن تربيتها. سواء أكان المرأة محجبة أم غير محجبة، إذ إنّ قيمة المرأة تكون أعلى من هذه الأحاديث.

كما نرى لا يدعو الشاعر في هذه الأبيات إلى السفور ونزع الحجاب مباشرة، ولا يرى أى فرق بين المرأة المحجبة والمرأة السافرة، ولكنه في البيت الأول لا يقيم للحجاب أى وزن ويعد المرأة المحجبة، عديمة الثقافة وهذا الأمر يثبت لنا نظراته السلبية

إلى حجاب المرأة. فيمكن القول بأن الشاعر في نظره إلى حجاب المرأة، كان تحت نير الأفكار الغربية والمنطلقات الأنسوية ورجح كفة النظريات الغربية المزيفة في هذا الإطار على التعاليم الإسلامية الحقّة.

٢-٣. النظرة السلبية والتشاؤمية إلى النساء

من الأمور التي نشاهدها بوضوح في أشعار بهار، هي نظره التشاؤمية والسلبية إلى المرأة، بحيث لا نكاد نقرأ قصيدة من الشاعر حول المرأة حتّى نواجه نظره هذه. من الطريف أنّه لا تخلو قصائده المدحية في شأن المرأة أيضاً من هذه النظرة، فالشاعر في قصيدته "الخطاب إلى المرأة" وفي بيته الأخير يقول:

گاه خوب خوبی وگه زشت زشت یا به چاه و یل یا صدر بهشت
(المصدر نفسه، ١: ٢٦٧)

تارة تكونين امرأة في نهاية الحسن والجمال وتارة أخرى امرأة قبيحة جدا، فلن تلقى إلا في بئر الويل - أسفل مكان في الجهنّم - أو في أعلى الجنة. وفي قصيدة "المرأة شعر الله" يقول:

زن شیرین به مذاق دل ارباب کمال گرچه قند است نباید که مکرر باشد
(المصدر نفسه، ١: ٤٢٨)

وإن كانت المرأة الحسنة لصاحبها حلوة المذاق كالسكر ولكنها إذا تكررت تفقد حسنها وجمالها.

أو يعدهنّ في مقطوعة "سجية المرأة" أهجيات ورموزاً:

راست خواهی زنان معاینند پیچ در پیچ ولای برلایند
زن بود چون پیاز تو در تو کس ندارد خبر زباطن او
(المصدر نفسه، ٢: ٧٥٥)

إذا أردت الحقيقة في طبيعة المرأة فاعلم أنهنّ رموزٌ معقدة ملتوية. إنّ المرأة تكون كالبصل ذي بطون كثيرة ولا يعلم أحد الحقيقة الكامنة فيها. يعتبر بهار في قصيدة "لا تقم المرأة أى اعتبار للأصول" المرأة انساناً غير منطقي، لجوجاً، معانداً ويصفه بالعمى

والصمم والطبيعة الجامدة التي لم تُخلق إلّا من أجل أن تلد:

زن به معنی طبیعتی دگر است چون طبیعت عنود و کور و کراست
هنرش جلب مایه و زاد است شغل او امتزاج و ایجاد است
(المصدر نفسه، ٢: ١٤٨)

إنّ المرأة في حقيقتها الوجودية تختلف مع الرجل كل الاختلاف إذ إنها عنودة، وصماء وعمياء كالجملادات. ليس لها فنّ إلّا أخذ الأموال والثروات وليس لها مهنة إلّا الامتزاج والإنجاب.

يعتبر الشاعر في قصيدته "صفة المرأة" المرأة انساناً لا يمكن إصلاحه أو إرشاده إلى الطريق القويم وينعتها بالأنانية والتوجه إلى جماها الخارجي ورشاقتها فقط، فهي التي ليس لديها أية حيلة إلّا البكاء واللجوء إلى دموعها:

ای که اصلاح کار زن خواهی بی سبب عمر خویشتن کاهی
زن از اوّل چنین که بینی بود هیچ تدبیر، چاره اش ننمود
کار او با جمال و زیبایی است هنر و پیشه اش خود آراییست
تو میندار خوی منکر زن رود از بیم دوزخ از سر زن
لا به و آه و اشک و زاری او هست هر جا با سلاح کاری او
کار با این سلاح برّنده می کند با خدا و با بنده
(المصدر نفسه، ٢: ٧٧٣)

أيها الإنسان الذي تريد إصلاح أمور النساء، أعلم أنك تضرب في حديد بارد وتضيع عمرک بلا سبب.

إنّ المرأة كانت من بدء خلقتها هكذا ولم يستطع أي تدبير إصلاحها.

لا يهتمها إلّا جماها وليس لديه مهنة أو فنّ غير تزيين وجهها وجسدها.

فلا تظنّ أنّ المرأة تنسحب من سجيتها السيئة خوفاً من نار جهنّم.

إنّ أسلحتها القتالة أي: الدمع، والصراخ، والضجيج تكون في كل مكان معها.

فهي تحارب الله وخلقه - الرجال - بهذه الأسلحة الحادة القتالة.

في قصيدة أخرى يحذّر الرجال من حسادة النساء وقدراتهنّ في إثارة الشهوات

الجدسية:

زان كه جنس لطيف بى باك است هم حسود و هم هوسناك است
حُسن زن گر شنيد رشك برد حُسن مرد ار شنيد دل سپرد
(المصدر نفسه، ٢: ٧٠٧)

يصدر الحسد وإثارة الشهوة من طبيعة المرأة إذ إنها جمعت بين الجمال والجسارة
معاً فهي إذا سمعت بصفة حسنة فى امرأة أخرى تحسدها وإذا سمعها أو رآها فى رجل
تتعلق به.

بهار فى بيت آخر يعدّ المرأة ساذجة بعيدة عن التعقّل والإدراك وكأنّه يعدهنّ
ناقصات غير واعيات بكنه الأمور:
زن كتاب طبيعت ساده است
زن ز دستور حكمت آزاده است

(المصدر نفسه، ٢: ٧٧٣)

ما المرأة إلّا نصّاً ساذجاً من الطبيعة وليس بينها وبين الحكمة وما يتعلق بها أية
صلة.

الشاعر فى قطعه الشعرية "فى أخلاق النساء وسجيتهنّ" يعدّ المرأة ضعيفة رقيقةً
بعيدة عن العلم والبحث وخاصة عن العلوم الجديدة ولكن تهرها المباهج والجماليات:
هست بالطبع زن محافظه كار مى كند از اصول تازه فرار
هست اعصاب زن لطيف و رقيق مى گريزد ز بحث و از تحقيق
زن به هر چيز تازه بندد دل ليك گردد ز فكر تازه كسل
(المصدر نفسه، ٢: ٧٠٢)

من سجية المرأة التحفّظ، فهي متحفظة فى سجيتها وطبعها وتبعد نفسها عن كل جديد
إنها ذات شيمة رقيقة لطيفة، وبهذا السبب تفرّ من البحث، والمناقشة العلمية والتدقيق
فى الأمور. تتعلّق المرأة بكل جديد رائع فى الأشياء الجميلة ولكنها لا تروقها الأفكار
الجديدة، ولا تقيم لها وزناً.

عرفنا فيما سبق رؤية بهار التشاؤمية إلى المرأة، فهو لا تحسبها عالمة ولا يرى لها

المشاركة في النشاطات الاجتماعية والعلمية، ومن المحتمل أنه يرجع سبب هذه الرؤية التشاؤمية عند الشاعر إلى أمرين هامين؛ أولهما عدم مشاركة النساء في المجتمع الإيراني زمن حياة الشاعر بسبب المضايقات والعوائق التي يرفعها الرجال أمامهنّ وثانيهما عدم اطلاع الشاعر على أحاسيس النساء والبون الشاسع بين رؤية المرأة والرجل إلى الحياة، فهو يريد من المرأة أن ينظر إلى المجتمع من منظار الرجال وهذا أمر لا يعقل. ففي هذا الموضوع، عقائد الشاعر لا ينطبق مع التعاليم الإسلامية كما لا يلائم وما نراها في النظرية الإنسوية الغربية، فكما قلنا، هذا الأمر يرجع سببه إلى الرؤية الخاطئة للشاعر حيال ما يرتبط بطبيعة النساء ونسائتهنّ.

٣-٣. الدعوة إلى العلم

إنّ الجهل، والكسل والبطالة تعد من الآفات الاجتماعية والأمراض التي لا تكون عاقبتها إلا موت المجتمع أو سقوطه في مهاوى الذل والهوان. كانت إيران تعاني في زمن بهار من الجهل والخمول وكان جُثم غفيرٌ من الإيرانيين أميين لا يعرفون الكتابة ولا القراءة ولا يطلعون على حقوقهم الفردية والاجتماعية، فكانت لهذه الكارثة جذور أعمق فيما يرتبط بالنساء، فهنّ أكثر تخلفاً وأشدّ جهلاً من الرجال بسبب المضايقة التي عانت منها المرأة الإيرانية آنذاك، فحُرمت من حقوقها الاجتماعية وأغفلت في مجال التعليم. يعتقد ملك الشعراء بهار بأنّ أحد أهمّ أمراض المجتمع الإيراني هو جهل النساء وبعدهنّ عن ميدان العلم والتعليم، فالشاعر يشبه المجتمع الذي تعيش فيه النساء جاهلات غير متعلّقات بإنسان أصيب نصف جسده بالفلج. فيخاطب الشاعر في قصيدة "أيتها المرأة" المرأة الإيرانية ويطلب منه السعى وراء اكتساب العلم في سبيل رقي المجتمع، فيقول:

دريغا گر تو با این هوش و ادراک	به جهل از این فرونتر پایی ای زن
دريغا کز حساب خود، وطن را	به نیمه تن فلج فرمائی ای زن
سوی علم و هنر بشتاب و کن شکر	که در این دوره والا یی ای زن
حجاب شرم و عفت بیشتر کن	کنون کازاد، ره پیمایی ای زن

به كار علم و عفت كوش امروز كه مام مردم فردايى اى زن

(المصدر نفسه، ١: ٥٠٣)

أنت ذكية وحسنة الإدراك، فلا يجدر بك أن تكونى مقيدة بالجهالة والتخلف أيتها المرأة. من المؤسف أن يصبح الوطن مشلولاً ومفلوجاً بسبب جهلك وتخلفك. فاسعى إلى اكتساب العلوم والفنون وكونى شاكراً بسبب كونك تعيشين فى هذا العصر فأكثرى من حجاب العفة والحياء لأنك الآن تعيشين حياة أكثر حرية ونشاطاً. فاجتهدى فى طريق العلم والعفة اليوم، ففى الغد تصبحين أمّاً للجيل القادم أيتها المرأة.

يقارن الشاعر فى قصيدة أخرى بين المرأة المتعلّمة وبين المرأة الجاهلة، فيبين البون الشاسع بينهما ويمدح المرأة التى تسعى وراء اكتساب العلوم الجديدة، فينشد:

زنى كاوبه جهان هنر ندارد زحسن بشرى خبر ندارد

بناز اى زن باهنر كه عالم گلى از تو شكفته تر ندارد

(المصدر نفسه، ٢: ١١٧٤)

إنّ المرأة التى لا تتمتع بالعلم والأدب فى العالم، ليست لديها أية فكرة من الجمال البشرى. أيتها المرأة الموهوبة، يجب أن تفتخرى بنفسك وتعزّزى بها، لأنك أجمل وأحلى زهرة فى الدهر.

يمكن القول بأنّ رؤية الشاعر فى هذا الصدد يلائم التعاليم الشرعية كما يلائم العقائد الأنسوية، ولكن يجدر الإشارة إلى موضوع هام فى هذا الصدد، ألا وهى أنّ الدعوة الإسلام إلى تعليم المرأة يهدف إلى حياة أفضل وأعلى للمجتمع ويهدف إلى تربية نسل أفضل فى حضن أمهات متعلّقات ناشطات، ولكن الأنسوية تدعو إلى هذا الأمر لكى تستطيع المرأة أن تنقذ نفسها من يوغ عبودية الرجال، فيمكن القول بأنّ عقيدة الشاعر فى هذا الموضوع يساند الرؤية الإسلامية.

٣-٤. المرأة الجوهرة الفريدة

كما بينا آنفاً، غلب التشاؤم على نظرة بهار إلى المرأة فى كثير من أشعاره، ولكنّه فى بعض أشعاره يشيد بمكانة المرأة فى المجتمع ويعتبرها زينة العالم وأم المجتمع. فى بداية

الأمر يمكن أن نرى تناقضا في رؤية الشاعر إلى المرأة ولكن حقيقة الأمر ليس هكذا، لأنّ الشاعر يعتقد بوجود المرأة الحسنة والمرأة السيئة في أفكاره مع أنّ الغلبة هي للمرأة السيئة. يصف الشاعر في قصيدته "أيتها المرأة" المرأة بالصفات الحسنة الكريمة ويعلو بشأنها ويعدّها جوهرة الحياة:

جوان بخت و جهان آرایی ای زن جمال و زینت دنیا یی ای زن
تو یکتا گوهری در درج خانه وزان بهتر که گوهر زایی ای زن
(المصدر نفسه، ١: ٥٠٣)

أيتها المرأة! إنك شابة الحظ ورونق العالم، كما أنك الجمال وزينة الدنيا بأسرها. أنت الجوهرة الفريدة في البيت وأفضل من ذلك أنك تلدين الجوهرة أيتها المرأة. فيعدّ الشاعر مبدأ الكون والحياة رهينة وجود النساء:

نبودی زندگی گر زن نبودی وجود خلق را مبدایی ای زن
لا يمكن للحياة أي وجود إذا لم يكن للمرأة وجود، فأنت مبدأ وجود الخلق وأساسه أيتها المرأة.

المرأة تصنع سعادة الناس وتضمن هذه السعادة لهم:
بنای نیک بختی را به گیتی تو هم معمار وهم بنایی ای زن
أنت بانية صرح السعادة في العالم أيتها المرأة.
يعتبر بهار المرأة مظهرا بارزا من مظاهر العشق بل أهم مظهر في هذا الأمر بحيث إنّ الطبيعة تعلّمت العشق من المرأة:

طبیعت جذبه ی عشق از تو آموخت که تو خود عشق را مبنایی ای زن
بهشت واقعی جای است کز مهر تو با فرزندگان آنجایی ای زن
إنّ العالم والطبيعة تعلّمت حلاوة العشق منك، لأنك مصدر العشق وأساسه. أيتها المرأة! إنّ الجنة الحقيقة تقع في المكان الذي أنت تعيشين فيه وأولادك مع المحبة والعطوفة.

بهار يعتقد بأنّ المرأة والرجل جنبا إلى جنب يشكّلان حياة أفضل وأعلى:
زن بود شعر خدا مرد بود نثر خدا مرد نثری سره و زن غزلی تر باشد

نثر هرچنده تنها بی خود هست نکو لیک با نظم چو پیوست نکوتر باشد

(المصدر نفسه، ١: ٣٥٤)

إنَّ المرأةَ شِعْرُ الله تعالى والرجل نثره، الرجل نثر مرسل والمرأة غزل رطب جميل مع أنَّ النثر بنفسه يكون جميلاً وممتعاً ولكنه إذا ما عانق الشعر يكون أجمل وأفضل من ذي قبل.

يرى بهار في شعره "الخطاب إلى المرأة" المرأة بلبلًا حسن الصوت وزهرة جميلة طيبة الريح... هذه الصفات التي أتى بها الشاعر في توصيف المرأة تثبت بأنَّ بهار يعتقد أو يأمل مكانة عالية للمرأة في المجتمع الإيراني:

گوش کن ای بلبل شیرین سخن ای گل خوش نکهت باغ وطن

دفتر راز طبیعت خوی دوست رمز هستی در سواد موی دوست

روی گیتی سوی دوست

(المصدر نفسه، ٢: ٥٠٧)

أيها البلبل الحسن الصوت وأيتها الوردة الطيبة الرائحة في حديقة الوطن، أيتها المرأة الإيرانية؛ استمعي إلي.

إنَّ سرَّ الطبيعة برّمته هو سجيّتك وطبعك وسرّ الوجود والكائنات يتسرّ في ظلام أشعارك الفاحمة.

إنَّ العالم يتّجه نحوك وينظر إليك أيتها المرأة.

أما فيما يرتبط بالحياة العائلية، فالشاعر يعتقد بأنَّ للمرأة دوراً هاماً فيها، إذ هي تساعد المرأة في بناء حياة أفضل وأعلى في أسرة حميمة، فيقول:

مرد را تنها تویی یار قدیم هم پناهی، هم شریکی، هم ندیم

هم رفیق ممتحن

ای طبیعت را نمودار کمال در تحول، در تغیر، در جمال

در قوانین و سنن

(المصدر نفسه، ٢: ٢٦٥ و ٢٦٦)

إنَّك تساعد الرجل في الحياة، فأنت ملجأه وصديقه ورفيقه في هذا الطريق.

فأنت أيتها المرأة مظهر كمال الطبيعة في تحولاتها وجمالياتها وقوانينها وسننها. يريد الشاعر في هذه الأبيات أن يذكر للمرأة الإيرانية شأنها ومكانتها الحقيقية في الحياة الاجتماعية من جهة والحياة العائلية من جهة أخرى، فهو حينما يقول للمرأة بأنّ العالم يتّجه نحوها وينظر إليها يريد أولاً أن يشير إلى الحرية التي افتقدتها المرأة منذ سنين كثيرة في إيران وثانياً أن يرى للمرأة مدى أثرها في المجتمع ومدى شأنها وقدرتها في الحياة الإنسانية. فبرأى الشاعر تستطيع المرأة أن تبني تاريخ العالم. فهو يوصل مكانة المرأة المحسنة في هذه القصيدة إلى مكانة الملاك ويعدها العلة المسببية لوجود أنبياء عظام كموسى وعيسى عليهما السلام، ولكنه - وبسبب نظرته التشاؤمية إلى المرأة والتي قد مرّ ذكرها - تعتقد بوجود امرأة سيئة أمام المرأة المحسنة وتصفها بأشنع الصفات والخصال، فيقول في مثنوى "حرب تهمورث مع الشياطين":

گه به زنجیر شرافت پای بند چون فرشته پاک و چون گردون بلند
چون ستاره ارجمند
گنج ز شهوت اوفتاده در خلاب گشته چون مار و وزغ در منجلاب
پای تا سر غوطه زن
گه گشاده بهر بلع خاص و عام همچون آتشخانه نمرو، کام
گه شده برد و سلام
گاه گفته بهر طفلی شیر خوار ترک قوم و ترک شهر و ترک یار
جسته در کوهی وطن
گاه موسی زاده، گاهی سامری گاه کوبیده در جادوگری
گه در پیغمبری
گه بریده گردن یحیی به زار گه مسیحا پروریده در کنار
این پر اسرار زن

(المصدر نفسه، ٢: ٢٦٥ و ٢٦٦)

فهی تارة تكون مكبولة بقيود الشرافة والحياة، فتكون بريئة من المعاصي كملاي، ورفيعة المكانة كالسما والنجوم.

ولكن تراها مرة أخرى غارقة في لجج الشهوات والمعاصي، فتقع في الأوساخ كحية أو ضفدع بتمام وجودها.

فمرة تراها فتحتُ فمها لكى تبلع الدنيا برمتها كنارٍ نمرود ومرة أخرى تجدها أصبحت برداً وسلاماً.

ومرة تجدها تركتُ الأهل، والوطن والأقرباء بسبب طفلها الرضيع وسكنتُ وعرجبال.

فتلدُ مرةً موسى ومرة أخرى السامري، فتدقّ في بعض الأحيان باب الشعوذة وفي بعض الآخر باب النبوة.

تارة تقطعُ رأس يحيى بكلّ خشونة وتارة أخرى تنشئ المسيح في حضنها، فهي مليئة بالأسرار والرموز.

إنّ الشاعر يعتقد بأنّ للمرأة دوراً هاماً في المجتمع الإنساني وبهذا السبب يعلو شأنها من أن تصرف جلّ اهتمامها في التجميل والتزيين، فيقول في قصيدة "سجية المرأة":

خویش را صد قلم بزک کردن	غایتش زادن است و پروردن
زن به معنی طبیعتی دگر است	چون طبیعت عنود و کور و کراست
هنرش جلب مایه و زاد است	شغل او امتزاج و ایجاد است

(المصدر نفسه، ٢: ١٤٨)

إنّ المرأة التي تزین وجهها وتهتمّ بجمالها بمئة مكياج لا يرجى منها فائدة إلاّ أن تلد وتكبر الأولاد. هذه المرأة في حقيقتها الوجودية تغاير وطبيعة البشر وفي الحقيقة هي عنودة وصماء وعمياء كالجُمادات. ليس لها فنّ إلاّ أخذ الأموال والثروات وليس لها مهنة إلاّ الإمتزاج و الإنجاب.

في هذا الإطار يتطرق الشاعر إلى موضوعات كثيرة، بعضها يوافق نظرة الإسلام إلى المرأة ومكانتها وبعضها الآخر يكون موافقاً للنظريات الغربية وخاصة الأنسوية حيال المرأة، فيمكن القول بأنّ الشاعر في هذه الموضوعات ما استطاع أن يصل إلى رؤية ثابتة، فهو كطائر الذي يجلس من غصن إلى آخر دون أن استقرّ في مكان في النهاية.

٥-٣. الدفاع عن حقوق المرأة

إنَّ بهار - كمصلح اجتماعي - حاول أن يتطرق إلى الأمراض الاجتماعية الشائعة في زمنه وطرق علاجها، فسواء أأصاب في سبيل الوصول إلى أهدافها المنشودة أم أخطأ، فكان هدفه في أي حال، رقي الوطن وسيره إلى ما هو أحسن وأفضل. كما رأينا ومربنا كانت قضية المرأة وما ألمَّ بها من المسائل، من أهم المسائل التي التفت انتباه الشاعر إليها في أشعاره. فتطرق إلى حجاب المرأة وسفورها وتعليمها و...، تعدّ القصة الشعرية واحداً من الفنون الأدبية التي استفاد الشاعر منها في هذا السبيل. فيستفيد بهار من القصة الشعرية أداة للتطرق من خلالها إلى التكلم عما يريد من صفات المرأة وأخلاقها وبعد كل هذا يتكلم بصورة غير مباشرة مع الرجال عن كل ما يجب مراعاته من قبلهم فيما يرتبط بالمرأة وفي بعض الأحيان يشكو من القوانين والعادات البالية الحاكمة على المجتمع الإيراني وينددها. يشير الشاعر في إحدى هذه القصص الشعرية تحت عنوان "دعوة الرجل زوجته إلى مذهب الوجدان" إلى سذاجة طبع النساء ووقوعهن في حبال مكر الرجال وخداعهن ويقول:

داشت اصرار شوهر نادان	كه شهود زن مطاوع وجدان
رخ میوشد زمرد بیگانه	خاصه زان نوجوان فرزانه
زن از این گفته ها کسل می شد	قهر می کرد و تنگ دل می شد
به حذر بود از آن طریقه شوی	ویژه از آن رفیق تازه اوی
ساده دل هر چه بیش می کوشید	زن از غیر بیش می پوشید

(المصدر نفسه، ٢: ٧٠٢)

إنَّ الزوج الأحمق يصرّ على أن تصبح المرأة مطيعة لما يقول لها من صميم قلبه فأراد منها أن لا يحجب وجهها عن الرجال وخاصة من ذاك الرجل الذي كان صديقه ولكن المرأة صارت ضيقة الصدر مما قاله زوجها، فأعرضت وجهها عنه ولم تتكلم معه. فالمرأة تخاف مما يدعو زوجها إليه وخاصة تبعد نفسها من صديق زوجها الجديد كلما حاول الزوج أكثر في هذا السبيل، تحجب المرأة وجهها عن الغرباء أكثر فأكثر.

كما رأينا في هذه الأبيات، إنَّ الزوج بعد أن تعرّف على صديق جديد وبالتالي

تعرف من خلال هذه الصداقة على سفور النساء؛ حاول أن يجبر زوجته على ترك حجابها، ولكن كلما حاول أكثر كان فشله أقرب وأضعف. فحاول صديق الزوج إيجاد خدعة، فيأتى مع امرأة سوء إلى بيت الرجل محاولين نزع الحجاب عن وجه الزوجة:

یار طرار از این به تنگ آمد	تیر تدبیر او به سنگ آمد
لاجرم ساخت با زنی بدکار	گفت هر جا، زن منست این یار
رفت با زن به خانه آن مرد	رخ زن پیش مرد یکسو کرد
گفت: خانم به همره مادر	رفته بودند مدتی به سفر
هست آزاد و تمیز این زن	در برم همچو جان عزیز این زن
می رود بی حجاب از خانه	رخ نبوشد زمرد بیگانه

فحينما يرى الصديقُ الخبيث أنَّ مكره لم ينطل على الزوج والزوجة، حاول إيجاد خدعة أخرى، بحيث خرج مع امرأة عاهرة فى كلِّ مكان وقال هذه تكون زوجتى. فذهب مع المرأة إلى بيت الزوج ونزع الحجاب عن وجهها أمام الزوج فقال: هذه زوجتى، قد ذهبت مع أمها ردهاً من الزمن إلى رحلة فهي امرأة طيبة عفيفة وأنا أحبها كثيراً وهي عندى بمنزلة الروح من جسدى هي تخرج من البيت سافرة ولا تحجب وجهها عن الآخرين. بعد أن خرج الصديق مع المرأة العاهرة من بيت الزوج، بدأ الزوج بإحراج زوجته وعيرها بحجابها. يستغلُّ بهار من هذه القصة ليقول بأن الحجاب ليس ضرورياً للمرأة وإذا كانت المرأة مثقفة فلا تحتاج إلى حجاب. بعد أن يصرَّ الرجل على زوجته بالسفور تبكى الزوجة، ولكن الشاعر مع نظرته التشاؤمية إلى المرأة يعدُّ البكاء أسلحتها أمام المشاكل ويقول:

گفت با زن که این اداهايت	پیش اینها نمود رسوايت
مگر این زن زجنس زنها نيست	مگر او عضو انجمن ها نيست
بهر آن زن که تربيت دارد	رو گرفتن چه خاصيت دارد؟
زن بيچاره گريه را سرداد	رخ زالماس اشک زيور داد
آلت زن دو چشم گريانست	حجتش اشک وآه، برهان است

(المصدر نفسه، ۲: ۷۰۴)

فقال الزوج لزوجته إن أعمالك هذه صارت سبب فشلك وأراقت ماء وجهك. أرأيت امرأة صديقي، أهي لا تعدّ من النساء، أليس تراها تشارك في كثير من الأندية؟ إذا كانت المرأة مهذّبة فما حاجتها بالحجاب والسترة؟ إنّ الزوجة التعيسة بدأت بالبكاء فجرت دموعها البرّاقة كالماسات من وجهها الجميل. البكاء سلاح المرأة وليست لديها أى منطق وبرهان إلاّ الدمعة، والضجّة والتأوّه.

فى نهاية القصة، يذهب الزوج إلى سفر ويطلب من صديقه صيانة بيته وزوجته، ولكنّ الرجل العاهر يستغلّ الفرصة السانحة ويأخذ من زوجة صديقه العفيفة الطاهرة ما أراد من بداية الأمر. فيعود الذنب هنا إلى الزوج لا الزوجة، لأنه ما أقام أى وزن لضجّات زوجته وبكائها، بل أصرّ عليها فى نزع حجابها وطلب سفورها. يشير بهار فى هذه القصيدة إلى صفات النساء، الحسنة منها والقيحة، كما تتخلل القصيدة بعض عادات المجتمع الإيراني المذمومة ورأى الشاعر فى إصلاح بعض الأمراض الاجتماعية. فهنا نرى تفاوتاً ماهوياً بين هذا العنوان والعناوين السابقة فيما يرتبط بالمرأة وشؤونها، لأنّ الشاعر فى الموضوعات السابقة يتطرق مباشراً إلى ما هو مرتبط ارتباطاً تاماً بمكانة المرأة فى المجتمع، ولكن فى هذا العنوان، فى الحقيقة يستفيد الشاعر عن القصة الشعرية كوسيلة للحصول إلى هدفه الذى يريد التكلم عنه.

النتيجة

تطرقّ هذا المقال إلى موضوع مكانة المرأة فى المجتمع الإيراني الحديث وخاصة فى عصر ثورة الدستور. فبحثّ المقال، بعد إشارة عابرة إلى البيئة الاجتماعية آنذاك، عن المرأة وأحوالها وما يرتبط بها فى المجتمع الإيراني وحاول أن يبيّن رؤية أحد أهم شعراء عصر ثورة الدستور فى إيران إلى النساء، ألا وهو ملك الشعراء بهار تحت ظلّ نظرية الأنسوية. للوصول إلى هذا الأمر، وبعد التطرق إلى نظرية الأنسوية والإشارة إلى أهم المرتكزات الفكرية لها، بحثنا ديوان الشاعر وحاولنا أن نناقش آرائه فيما يرتبط بالمرأة فى أشعاره. فبعد مطالعة ديوانه ومناقشة أشعاره فى هذا الصدد قسّمنا رؤية الشاعر فى هذا الإطار إلى خمسة أقسام رئيسية: ١- حجاب المرأة وسفورها.

٢- دعوة المرأة إلى اكتساب العلم. ٣- مكانة المرأة في المجتمع. ٤- نظرة الشاعر التشاؤمية إلى المرأة. ٥- التطرق إلى قضايا المرأة من خلال القصص الشعرية. وأخيراً يمكن أن نعدّ الموارد التالية من أهمّ النتائج الحاصلة من هذا البحث:

١. كان الشاعر من مخالفى حجاب المرأة فى زمنه وحاول إقناع المرأة الإيرانية على نزع حجابها.

٢. مع أن الشاعر من دعاة سفور المرأة، ولكنّه فى كثير من أشعاره يطلب منها الحياء، والعفة والابتعاد عن الدناءة.

٣. إنّ تطرّق الشاعر إلى الأصول الدينية والموازن الأخلاقية جنباً إلى جنب دعوته إلى السفور يبين لنا بأنّ الشاعر ليس من الذين يدافعون عن سفور المرأة كما يعتقدونها الغربيون، بعبارة أخرى هو يخالف الحجاب لأنّه يعدّ حجاب المرأة من العوائق التى تمنعها عن المشاركة فى الحياة الاجتماعية، مع أنّه كنّا نتوقع من شاعر كبير كبهار أن يدعو بدلاً إلى السفور، يدعو إلى مشاركة المرأة الإيرانية فى النشاطات الاجتماعية مع حفظ حجابها الشرعى والإسلامى.

٤. للشاعر فى بعض أشعاره نظرة تشاؤمية حيال المرأة وفى هذا الصدد نستطيع أن نقول هو أخذ هذه النظرة من المجتمع الإيرانى فى عصر ثورة الدستور، لأنّ هذا المجتمع لم يستطع قبول مشاركة المرأة فى الأمور السياسية والاجتماعية بعد. ٥. إنّّه يدعو المرأة الإيرانية فى أشعاره إلى اكتساب العلم والمعرفة والمشاركة فى المجتمع وهذا يعنى أنّه من مدافعى حقوق المرأة فى إيران الحديثة. وعندما يُشبه الشاعر المجتمع الذى تعيش نساؤه فى الجهل والأمية، بإنسان فالج، فإنّه يشير فى الحقيقة إلى أهمية النساء ومكانتهنّ فى كل مجتمع بشرى.

٦. فى النهاية يمكن القول بأنّ الشاعر كان فى برزخ بين التعاليم الإسلامية فيما يرتبط بشأن المرأة ومكانتها فى المجتمع الإسلامى و... وبين المنطلقات الفكرية الغربية المتبلورة فى النظرية الأنسوية بصورة خاصة، ومع الأسف فى بعض آرائه دافع عن الرؤية الغربية تجاه المرأة مع أنّه لم يهمل الجانب العقائدى الإسلامى فى هذا الصدد اهماً تماماً.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

آدمیت، فریدون. (۱۳۴۰ش). افکار اجتماعی و سیاسی در آثار دوره قاجار. طهران: سخن.

آرین پور، یحیی. (۱۳۷۶ش). از نیما تا روزگار ما. طهران: زوار.

احمدی گیوی، حسن. (۱۳۷۸ش). ستایشگر میهن و آزادی. طهران: نشر قطره.

اسلامی ندوشن، محمد علی. (۱۳۸۳ش). از رودکی تا بهار. طهران: نغمه زندگی.

بهار، محمد تقی. (۱۳۶۸ش). دیوان اشعار. به کوشش مهرداد بهار. طهران: توس.

_____ (۱۳۸۷ش). دیوان اشعار. طهران: انتشارات نگاه.

حمدانی، جمیل. (۲۰۱۲م). النقد الثقافي بين المطرقة والسندان، بحث منشور على موقع ديوان العرب، الشبكة المعلوماتية.

رزاقی شانی، علی. (۱۳۸۶ش). ملك الشعراء بهار. طهران: تیرگان.

زرقانی، سید مهدی. (۱۳۸۷ش). چشم انداز شعر معاصر ایران. طهران: ثالث.

سپانلو، محمد علی. (۱۳۸۲ش). شعر معاصر ایران. طهران: طرح نو.

شوندی، حسن. (۱۳۸۹ش). المرأة عند بهار و الرصافي. فصلنامه دراسات الأدب المعاصر، العدد ۷.

الخريف ۱۳۸۹. صص ۷۷-۹۲.

عابدی، کامیار. (۱۳۷۶ش). زندگی و شعر ملك الشعراء. طهران: نشر ثالث.

الغذامي، عبدالله. (۲۰۰۰م). النقد الثقافي قراءة في الانساق الثقافية العربية، المغرب: المركز الثقافي العربي، الطبعة الأولى.

مجله یغما. (۱۳۷۳ش). الرقم الثاني والثالث. السنة السادسة.

میرانصاری، علی. (۱۳۸۵ش). ارج نامه ملك الشعراء بهار. طهران: میراث مکتوب.

نوری علاء، پرتو. (۱۳۸۳ش). پروین فروغ سیمین در سه مرحله، زنی با دامنی گل (ذکری سیمین

بهیهای)، تنقیح علی دهباشی. طهران: نگاه.